

حق لمسلمين وقيل لا التفات لانه بتقدير قل وقرأ عبد الله وأبورجاه والحسن والجحدري وأبو حيرة وابن أبي عتبة وأبو عمرو والزعفراني وابن مقسم يؤثرون بياه الغيبة وقوله تعالى ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أي تؤثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدى لانصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية الظهور ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ اشارة على ما أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد الى قوله تعالى والآخرة خير وأبقي وروى ذلك عن قتادة وقال غير واحد اشارة الى ما ذكر من قوله سبحانه قد أفلح من ترك الخ وسبأني ان شاء الله تعالى في الحديث ما يشهد له وقال انضحك اشارة الى القرآن قَالَا يَٰ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ وَانَهُ لَنِي زَبْرًا لِوَالِئِنَّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَكْرَمَةَ وَالسُّدِّيَّ اِشَارَةً اِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ السُّورَةُ جِيْمًا وَفِيهِ بَعْدُ ﴿ لَفِي الصُّحُفِ الْاُولَى ﴾ أي ثابت فيهما معناه وقرأ الاعمش وهرون وعصمة كلاهما عن أبي عمرو بسكون الحاء وكذا فيما بعد وهي لغة تميم على ما في اللوامح ﴿ صُّحُفِ اِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ بدل من الصحف الاولى وفي اهماها ووصفها بالقدم ثم بيانا وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى وكانت صحف ابراهيم عشرة وكذا صحف موسى عليه السلام والمراد بها ماعدا التوراة أخرج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم أنزل الله تعالى من كتاب قال مائة كتاب واربعة كتب أنزل على شيت خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال أمثال كلها أيها الملك المتسلط على المبتلى المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فاني لأردها ولو كانت من كافر وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه ويتذكر فيما صنع وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال فان في هذه الساعة عوننا لتلك الساعات واجتماعا للقلوب وتفريفا لها وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسان فان من حسب كلامه من عمله أقل الكلام الا فيما يعنيه وعلى العاقل أن يكون طالبا لثلاث مرمة لعماس أو تزود لمعاد أو تلذذ في غير محرم قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت ثم يفرح ولمن أيقن بالنار ثم يضحك ولمن يرى الدنيا وتقلبها باهلاها ثم يعلم من اليها ولمن أيقن بالقدر ثم يتعصب ولمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل قلت يا رسول الله هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال يا أباذر نعم قد أفلح من تركي وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقي وتعالى أعلم بصحة الحديث وقرأ أبو رجاه ابرهم بمحذف الالف والياء وبالهاء مفتوحة ومكسورة وعبدالرحمن بن أبي بكرة بكسرها لا غير وقرأ أبو موسى الاشعري وابن الزبير ابراهام بالتين في كل القرآن وقرأ مالك بن دينار ابراهم بألف وفتح الهاء وبغير ياء وجاء كما قال ابن خالويه ابرهم بضم الهاء بلا ألف ولا ياء وهذا من تصرفات العرب في الاسماء العجيبة فان ابراهيم على الصحيح منها وحكى الكرمانى في عجائبه أنه اسم عربى مشتق من البرهمة وهي شدة النظر ونسبه قد تقدم وكذا نسب موسى صلى الله تعالى عليهما وسلم

سورة الفاشية

مكية بلا خلاف وعدة آياتها ست وعشرون كذلك وكان صلى الله تعالى عليه سلم كما أخرج مسلم وأبو داود والنسائي

وابن ماجه عن النعمان بن بشير يقرؤها في الجملة مع سورتها ولما أشار سبحانه فيما قبل الى المؤمن والكافر والجنة والنار اجمالاً بسط الكلام هنا فقال عز قائلنا

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَاشِيَةِ) قيل هل بمعنى قد وهو ظاهر كلام قطرب حيث قال أى قد جاءك يا محمد حديث الفاشية والمختار أنه للاستفهام وهو استفهام أريد به التعجب مما في حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بأنه من الاحاديث البديعة التى حقها أن تتناقلها الرواة ويتنافس فى تلقنها الوعاة وأخرج ابن أبى حاتم عن عمرو بن ميمون قال مر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على امرأة تقرأ هبل أتاك حديث الفاشية فقام عليه الصلاة والسلام يستمع ويقول نعم قد جاني والفاشية لتقيامة كما قال سفيان والجمهور وأطلق عليها ذلك لانها تنقى الناس بشدائنها وتكتنفهم بأهوالها وقال محمد بن كعب وابن جبير هي النار من قوله تعالى وتنفى وجوههم النار وقوله سبحانه ومن فوقهم غواص وليس بذلك فان ما سيري من حديثها ليس مختصاً بالنار وأهلها بل ناطق بأحوال أهل الجنة أيضاً (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ) المرفوع مبتدأ وجاز الابتداء به وان كان نسكرة لوقوعه في موضع التنوع وقيل لان تقدير الكلام أصحاب وجوه والخبر مابعد والظرف متعلق به والتنوين عوض عن جملة اشمرت بها الفاشية أن يوم اذ غشيت والجملة الى قوله تعالى مبثوثة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كأنه قيل من جهته عليه الصلاة والسلام ما أتاني حديثها ما هو فقيل وجوه الخ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يكن أتاه صلى الله تعالى عليه وسلم حديثها فاخبره سبحانه عنها فقال جل وعلا وجوه يومئذ (خَاشِعَةٌ) والمراد بخاشعة ذليلة ولم توصف بالذل ابتداء لما في وصفها بالخشوع من الاشارة الى التهكم وانها لم تخشع في وقت ينفع فيه الخشوع وكذا حال وصفها بالعمل في قوله سبحانه (عَاقِلَةٌ) على ما قيل وهو وقوله تعالى (نَاصِبَةٌ) خبران آخران لوجوه اذا المراد بها اصحابها وفي ذلك الاحتمالات آخر ستاتي ان شاء الله تعالى أى عاملة في ذلك اليوم تبة فيه وذلك في النار على ما روى عن ابن عباس والحسن وابن جبير وقناة وعملها فيها على ما قيل جر السلاسل والاعلال والحوض فيها خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها وذلك جزاء التكبر عن العمل وطاعة الله تعالى في الدنيا وعن زيد ابن اسلم أنه قال أى عاملة في الدنيا ناصبة فيها لانها على غير هدى فلا ثمرة لها الا النصب وخاتمته النار وجاء ذلك في رواية أخرى عن ابن عباس وابن جبير أيضاً والظاهر أن الخشوع عند هؤلاء باق على كونه في الآخرة وعليه في يومئذ لا تعلق له بالوصفين معنى بل متلقةما في الدنيا ولا يخفى ما في هذا الوجه من البعد . ظهور ان العمل لا يكون في الآخرة بعد تسليمه لا يجدى نفماً في دفع بسده وقال عكرمة عاملة في الدنيا ناصبة يوم القيامة والظاهر أن الخشوع على ما سر ولا يخفى ما في جعل الحاطب باستقباليين ماضويين من البعد وقيل الاوصاف الثلاثة في الدنيا والكلام على منواله . إذ ما استنبنا لم تلدني لشيعة . أى ظهر لهم يومئذ أنها كانت خاشعة عاملة ناصبة في الدنيا من غير نفع وأما قبل ذلك اليوم فكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنفاً وهؤلاء النساك من اليهود والنصارى كما أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس ويشمل غيرهم مما شاكلهم من نساك أهل الضلال وهذا الوجه أبعد من أخويه وقوله تعالى (تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً) متناهية في الحر من حيث النار اذا اشتد حرها خبر آخر لوجوه وقيل خاشعة صفة لها وما بعد أخبار وقيل الاولان صفتان والاخيران خبران وقيل الثلاثة الاول صفتان وهذه الجملة هي الخبر

والسكل كما ترى وجوز أن يكون هذا وما بعده من الجملتين استثناء ميبناً لتفاصيل أحوالها وقرأ ابن كثير في رواية شبل وحيد وابن محيصن عاملة ناصبة بالنصب على النهم وقرأ أبو رجاء وابن محيصن ويعقوب وأبو عمرو وأبو بكر نصل بضم التاء وقرأ خارجة تصلي بضم التاء وفتح الصاد مشدداً للام للمبالغة ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ﴾ بلغت أناها أي غايتها في الحرف في متناهية فيه كما في قوله تعالى وبين حميم آن وهو التفسير المشهور وقد روى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقال ابن زيد أي حاضرة لهم من قولهم أنى الشيء حضر وليس بذلك ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ﴾ بيان لطعامهم أثر بيان شراهم والضريع كما أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس الشبرق اليابس وهي على ما قال عكرمة شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض وقال غير واحد هو جنس من الشوك ترعاه الأبل رطباً فإذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال أبو ذؤيب

رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى * وصار ضريعاً بان عنه النحائص

وقال ابن غرارة الهذلي يذكر ابلا وسوء مرعى

وحسن في هزم الضريع فسكها * حدباء دامية اليدى حرود

وقال بعض اللغويين الضريع يبس المرعج إذا انحطم وقال الزجاج نبت كالموسج وقال الخليل نبت أخضر من نبت الريح يرمى به البحر والظاهر أن المراد ما هو ضريع حقيقة وقيل هو شجرة نارية تشبه الضريع وأنت تعلم أنه لا يمجز الله تعالى الذي أخرج من الشجر الأخضر ناراً أن ينبت في النار شجر الضريع نعم يؤيد ما قيل ما حكاه في البحور الزاخرة عن البغوى عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار شبه الشوك أسر من الصبر وأتت من الجيفة وأشد حراً من النار فإن صح فذلك وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويدلون ويتضرعون إلى الله تعالى طلباً للخلاص منه فسمى بذلك وعليه يحتمل أن يكون شجراً وغيره وعن الحسن وجماعة أنه الزقوم وعن ابن جبير أنه حجارة في النار وقيل هو واد في جهنم أي ليس لهم طعام إلا من ذلك الموضع ولعله هو الموضع الذي يسيل إليه صديد أهل النار وهو الغسلين وعليه يكون التوفيق بين هذا الحصر والحصر في قوله تعالى ولا طعام إلا من غسلين ظاهراً بأن يكون طعامهم من ذلك الوادى هو الغسلين الذى يسيل إليه وكذا إذا أريد به ما قاله ابن كيسان واتحد به وقد يتحد بهما عليه أيضاً الزقوم واتحاده بالضريع على القول بأنه شجرة قريب وقيل في التوفيق أن الضريع مجاز أو كناية أريد به طعام مكروه حتى للأبل وغيرها من الحيوانات التي تلتذ رعى الشوك فلا ينافى كونه زقوماً أو غسلين وقيل أنه أريد أن لا طعام لهم أصلاً لأن الضريع ليس بطعام لاهائم فضلاً عن الناس كما يقال ليس لفلان ظل إلا الشمس أي لا ظل له وعليه يحمل قوله تعالى ولا طعام إلا من غسلين وقوله تعالى أن شجرة الزقوم طعام الأثيم فلا مخالفة أصلاً وقيل أن الغسلين وهو الصديد في القدرة الإلهية أن تجعله على هيئة الضريع والزقوم طعام الغسلين والزقوم اللذان هما الضريع ولا يخفى نفعه على الرضيع وقد يقال في التوفيق على القول بأن الثلاثة متغايرة بالذات أن السذاب ألوان والمعدبون طبقات فهم أكلة لزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع لسكل باب منهم جزء مقسوم ﴿لَا يَسْمَنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ أما في محل جر صفة لضريع والمعنى أن طعامهم من شيء ليس من مطاعم الأنس وأما هو شوك والشوك مما ترعاه الأبل وتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعة الغذاء منتفيتان عنه وهما إمامة الجوع وإفادة القوة والسمن في البدن وأن شئت فقل أنه من شيء مكروه يضرع عنده ويتضرع إلى الله تعالى ويطلب منه سبحانه الخلاص عنه وليس فيه منفعة الغذاء أصلاً وأما في محل رفع صفة

لطعام المقدر اذ التقدير ليس لهم طعام الا طعام من ضريع والمعنى قريب مما ذكر ولا يجوز كونه صفة للمذكور اذ لا يدل حينئذ على ان طعامهم منحصر في الضريع بل يدل على ان ما لا يسمن ولا يفتن من طعامهم منحصر فيه ويفسد المعنى واما لا محل له من الاعراب على أنه مستأنف والاول أظهر ويروى ان كفار فريش قالوا لما سمعوا صدر الآية ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فتزلت لا يسمن الخ قيل فلا يخلوها اما ان يتكذبوا ويتنتوا بذلك وهو الظاهر فبرد قولهم بنى السمن والشبع واما أن يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو غير مسمن ولا يفتن من جوع وعلى الاول هو صفة مؤكدة ردالما زعموه لا كاشفة اذ لا خفاء وعلى الثاني هو صفة مخصصة واما كان فتكثير الجوع للتحقير أى لا يفتن من جوع ما وتأخير نفي الاغناء منه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفى كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الايمان ضرورة استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه ولذلك كرر لالتأكيد النفي وفي الارشاد ان نفي الامرين عنه ليس على أن لهم استعداداً للشبع والسمن الا أنه لا يفيد شيئاً منهما بل على أنه لا استمداد من جهتهم ولا افادة من جهته وتحقق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى الطعام والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرها عند استقرارهما في المدة ويستفيد منهما قوة وسمناً عند اتصافهما بل جوعهم عبارة عن اضطرابهم عند اضطراب النار في أحشائهم الى اذخال شئ كئيف يملؤها ويخرج ما فيها من الالب وأما أن يكون لهم شوق الى مطعومها والتذاذب به عند الاكل واستغناء به عن الغير واستفادة قوة فيبهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرابهم عند أكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شئ مائع بارد ليطنوه من غير أن يكون لهم التذاذب بشربه أو استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روى انه تعالى يساط عليهم الجوع بحيث يضطرون الى أكل الضريع فاذا أكلوه سلط عليهم العطش فاضطروا الى شرب الخميم فيشوى وجوههم ويقطع امامهم اعادنا الله تعالى وسائر السالمين من ذلك انتهى وهو خلاف الظاهر ومثله لا يقل عن الرأى وليس له فيما وقفنا عليه مستند يؤول لاجله الظواهر فالحق أن لهم جوعاً وعطشاً وشهوة الى الطعام والشرب كما أن للجائع والمطشان في الدنيا شهوة اليهما لكنهما لم يهنأ لهما هناك قد بلغا الغاية بتسليط الله تعالى عز وجل بدون سبب عادى على نحو ما في الدنيا فيضطرون لذلك الى الضريع والخميم كما يضطر من أفرط فيه الجوع والعطش في الدنيا الى تناول الكربة النشع من المطعوم والمشروب لكنهم لا ينتفعون بما يتناولونه بل يزدادون به عذاباً فوق العذاب نسأل الله تعالى العفو والعافية بمه وكرمه وقوله تعالى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾ شروع في رواية حديث أهل الجنة وتقديم حكاية أهل النار لانه أدخل في تهويل العافية وتفضيم حديثها ولان حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار مما يزيد المحكي حسناً وبهجة والكلام في اعرابه نظير ما تقدم وانما لم تعطف هذه الجملة على تلك الجملة ايذاناً بكال تباين مضمونيهما والناعمة امامن النعمة وكفى بها عن البهجة وحسن المنظر أى وجوه يومئذ ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم أو من النعيم أى وجوه يومئذ متممة ﴿ لسعيها ﴾ أى لعملها الذي عملته في دار الدنيا وهو متعلق بقوله تعالى ﴿ رَاضِيَةٌ ﴾ والتقديم للاعتناء مع رعاية الفاصلة واللام ليست للتعليل بل مثلها في رضى بكذا فكأنه قيل راضية بسعيها وذكر بعض المحققين أنها مقوية لتعدى الوصف بنفسه ولذا قال سفيان في ذلك كما أخرجه عنه ابن أبى حاتم رضى عملها ورضاها به كناية أو مجاز عن أنه محمود العاقبة مجازى عليه أعظم الجزاء وأحسنه

وقيل في الكلام مضاف مقدر أى لثواب سعيها راضية وجوز كون اللام للتعليل أى لاجل سعيها في طاعة الله تعالى راضية حيث أوتيت ما أوتيت من الخير وليس بذلك ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ مرتفعة المحل أو عليا القدر فالملو إما حسي أو معنوي وجمع أبو حيان بينهما ﴿ لَا تَسْمَعُ ﴾ خطاب لكل من يصلح للخطاب أو هو مسند إلى ضمير الغائبة المؤنثة وهو راجع للوجود على أن المراد بها أمحبابها أو الاسناد مجازي وكذا يقال فيما قبل وأشار بعض إلى أن في الآية صنعة الاستخدام اختيارا لأن المراد بالوجود أو لاحتقائها وعند إرجاع الضمير إليها ثانيا أصحابها فهم الذين لا يسمعون ﴿ فِيهَا لَا غِيَةَ ﴾ أى لغواً فهى مصدر بمعناه ويجوز كونها صفة كلمة محذوفة على أنها للنسب أى كلمة ذات لغو وجوز على تقدير كونها صفة كون الاسناد مجازيا لأن الكلمة ملفوظها لا لآغية ويجوز أن تكون صفة نفس محذوفة أى لا تسمع فيها نفسا لآغية وجعلها مسموعة لوصفها بما يسمع كما تقول سمعت زيدا يقول كذا وجوز أن يكون ذلك على المجاز في الاسناد أيضا وقرأ الأعرج وأهل مكة والمدينة ونافع وابن كثير وأبو عمرو بخلاف عنهم لا تسمع بناء التأنيت مبنيا للفعول لا غية بالرفع وابن محيصن وعيسى وابن كثير وأبو عمرو وكذلك إلا أنهم قرؤا بالياء التحتية لان التأنيت مجازي مع وجود الفاصل والجحدري كذلك إلا انه نصب لا غية على معنى لا يسمع فيها أى أحد لاغية من قولك أسمت زيدا ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ قيل يجرى ماؤها ولا ينقطع وعدم الانقطاع اما من وصف العين لانها الماء الجارى فوصفها بالجريان يدل على المبالغة كما في نار حامية واما من اسم الفاعل فانه للاستمرار بقرينة المقام والتشكيك للتمظيم واختار الزمخشري كونه للتكثير كما في علمت نفس أى عيون كثيرة تجرى مياهها ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾ رفيعه السمك أو المقدار وقيل مخبوءة من رفعت كذا أى خبأته ﴿ وَأَكْوَابٌ ﴾ وقداح لاعراها ﴿ مَوْضُوعَةٌ ﴾ أى بين أيديهم وقيل على حافات العيون وجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار أو سبط بين الصغرى والكبرى كقوله تعالى قدروها تقديرا ولا يخفى بعده ﴿ وَنَمَارِقُ ﴾ ووسائد قال زهير

كهولاً وشباناً حساناً وجوهم * على سرر مصفوفة ونمارق

جمع مفرقة بضم النون والراء وبكسرهما وفتحهما وبغيرهاه ﴿ مَصْفُوفَةٌ ﴾ صف بعضها إلى جنب بعض للاستناد اليها والانسكاه عليها وقال الكبي وسائد موضوعة بمضها إلى جنب بعض كالشيء الذى جعل صفا وإنما أراد أن يجلس المؤمن على واحدة واستند إلى أخرى وعلى رأسه وصانف ككأنهن الباقوت والمرجان ﴿ وَزَّرَابِيُّ ﴾ وبسط فاخرة كما قال غير واحد وقال الفراء هى الطنافس التى لها خمل رقيق وقال الراغب أنها فى الأصل ثياب محبرة منسوبة إلى موضع ثم استعملت للبسط واحدها زربية مثلثة الزاى ولم يفرق فى الصحاح بين الزرابي والنمارق والظاهر الفرق نعم قيل قد جاء نمارق بمعنى الزرابي ومنه

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق

لظهور أن الومائد لا يمشى عليها عادة ﴿ مَبْشُورَةٌ ﴾ مبسوطة أو مفرقة فى المجالس ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلِقَتْ ﴾ استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث العاشية وما هو مبنى عليه من البعث الذى هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره وأخرج عبد بن حميد وغيره عن قتادة قال لما نمت الله تعالى ماني الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة فأنزل سبحانه وتعالى أفلا ينظرون الخ ويرجع هذا فى الآخرة إلى انكار البعث كما لا يخفى والهمزة والتمويه والغاء للمطف على مقدر

بقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها على أنها حال من مرفوع خلقت كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة بدل اشتغال من الابل وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام من الاسم الذي قبلها كقولهم عرفت زيدا أبو من هو على أصح الأقوال على ان العرب قد ادخلت الى على كيف بلا واسطة ابدال كما ادخلت عليها على فحكي عنهم انهم قالوا انظر الى كيف يصنع كما حكي عنهم انهم قالوا على كيف تبيع الاحمرين وذكر أبو حيان في البحر والتذكرة وغيرها أنه اذا علق الفعل عما فيه الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته وقيل كيف بدل من الابل وتمتبه في المعنى بما في بضمه نظر وجوز في جمع البيان كونها في موضع نصب على المصدر وهو كما ترى والابل يقع على البمران الكثيرة ولا واحد له من لفظه وهو مؤنث ولذا اذا صغر دخلته التاء فقالوا أبلية وقالوا في الجمع آبال وقد اشتقوا من لفظه فقالوا أبل وتابل الرجل وتمجبوا من هذا الفعل على غير قياس فقالوا ما أبل زيدا ولم يحفظ سيبويه فيما قيل اسما جاء على فعل بكسر الفاء والمين غير ابل أى أينكرون ما أشير اليه من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب أعينهم يستعملونها كل حين كيف خلقت خلقا بديما معدولا به عن سنن خلق أكثر أنواع الحيوانات في عظم جنتها وشدة قوتها وعجيب هياتها اللائقة بتأتى ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالتوه بالاوقار الثقيلة وهي باركة وايصالها الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والمعاش حتى ان ظمها ليبلغ العشر بكسر فسكون وهو ثمانية أيام بين الوردتين وربما يجوز ذلك وتسمى حينئذ الحوازي بالحاه المهملة والزاي واكتفائها بالسيور وعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحر كة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيف يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير وفي تأثرها بالصوت الحسن على غاظ أكيادها الى غير ذلك وخصت بالذكر لانها أعجب ما عند العرب من الحيوانات التي هي أشرف المراكبات وأكثرها صنما ولهم على أحوالها أتم وقوف وعن الحسن أنها خصت بالذكر لانها تأكل النوى والقت وتخرج الابن وقيل له الفيل أعظم في الاعجوبة فقل العرب بعيدة العهد بالليل ثم هو خنزير لا يؤكل لحمه ولا يركب ظهره أى على نحو ما يركب ظهر البعير من غير مشقة في تربيته ولا يحلب دمه وقال أبو العباس المبرد الابل هنا السحاب لان العرب قد تسميها بذلك اذ تاتى ارسالا كالابل وتزجي كما تزجي الابل وهي في هياتها احيانا تشبه الابل يعنى ان ارادته منها هنا على طريق التشبيه والمجاز وكأنه كما قال الزمخشري لم يدع القائل بذلك الاطلب المناسبة بين المتعاطفات على ما يقتضيه قانون البلاغة وهي حاصلة مع بقاء الابل في عطائها قال الامام التناسب فيها ان الكلام مع العرب وهم أهل أسفار على الابل في البرارى فربما انفردوا فيها والمنفرد يتفكر لعدم رفيق يحادنه وشاغل يشغله فيتفكر فيما يقع عليه طرفه فاذا نظر لما معه رأى الابل واذا نظر لما فوقه رأى السماء واذا نظر يمينا وشمالا رأى الجبال واذا نظر لاسفل رأى الارض فأمر بالنظر في خلوته لما يتعلق به النظر من هذه الامور فبينها مناسبة بهذا الاعتبار وقال عصام الدين ان خيال العرب جامع بين الاربعة لان ما لهم النفيس الابل ومدار السقي لهم على السماء ورعيهم في الارض وحفظ ما لهم بالجبال وما ألطف ذكر الابل بعد ذكر الضريع فان خطورها بعده على طرف الثمام واذا صح ما روى من كلام قريش عند نزول تلك الآية كان ذكرها ألطف وألطف وقرأ الاصمعي عن أبي عمرو الى الابل بسكون الباء وقرأ على كرم الله تعالى وجهه وابن عباس رضى الله تعالى عنهما ابل بتشديد اللام ورويت عن أبي عمرو وأبي جعفر والكسائي وقالوا انها السحاب عن قوم من أهل اللغة

(وَإِلَى السَّمَاءِ) التي يشاهدونها ليلا ونهارا (كَيْفَ رُفِعَتْ) رفعا صحيح المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك (وَإِلَى الْجِبَالِ) التي ينزلون في أقطارها وينتفعون بمائها وأشجارها (كَيْفَ نَصَبَتْ) وضعت وضعا ثابتا يتأتى معه ارتقاؤها فلا تميل ولا تميد ويمكن الرقى الى دارها (وَإِلَى الْأَرْضِ) التي يضربون فيها ويتقلبون عليها (كَيْفَ سَطَّحَتْ) سطحاً بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح أمور أهلها ولا ينسافي ذلك القول بأنها قريبة من الكرة الحقيقية لمكان عظمها وقرأ على كرم الله تعالى وجهه وأبو حيوة وابن أبي عجلة خلقت رفعت نصبت سطحت بناء المتسكلم مبنيا للفاعل والمفعول ضمير محذوف وهو العائد الى المبدل منه بدل اشتغال أي خلقتها رفعتها نصبتها سطحتها وقرأ الحسن وهرون الرشيد سطحت بتشديد الطاء والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحجية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستمدوا للقائه بالامان والطاعة وجوز أن يحمل النظر على الابصار ويكون فيه دعوى ظهور المطلوب بحيث يظهر بمجرد ابصار هذه المخلوقات وهو خلاف الظاهر والفاه في قوله تعالى (فَذَكِّرْهُ) اترتيب الامر بالتذكير على ما ينبى عنه الانكار السابق من عدم النظر أي فاقنصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ) تلييل للامر وقوله سبحانه (أَسْتَعْزِمُكُمْ بِمُصِطِرٍ) تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار أي لست بمسيطر عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار وقرأ الجمهور بمسيطر بالصاد وكسر الطاء والاصل السين والصاد بدل منه فانه من السطر بمعنى التسلط يقال سطر عليه اذا تسلط وقرأ حمزة في رواية باشمام الصاد زايًا وهرون بفتح الطاء وهي لغة تميم وسيطر متمد عندهم ويبدل عليه قولهم تسيطر لمكان المطاوعة وقوله تعالى (إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ) قيل استثناء منقطع والافيه بمعنى لكن ومن موصولة مبتدأ وما بعدها صلة والعائد الضمير المستتر فيه وقوله سبحانه (فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ) خبر المبتدأ والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط نحو الذي يأتي في قوله درهم وجعل من شرطية يعده وجود الفاء فيما يصلح لجوابيتها بدونها وتقدير فهو يعذبه تكلف مستغنى عنه وأياما كان فن المنقطع ما يقع بعد الافيه جملة أي لكن من أعرض وأقام على الكفر منهم يعذبه الله تعالى العذاب الاكبر وهذا عذاب الآخرة في النار فانه الاكبر وعذاب الدنيا بالنسبة اليه أصغر وجعل الزمخشري الانقطاع على معنى لست بمستول عليهم لكن من تولى وكفر منهم فان الله تعالى الولاية عليه والقهر فيعذبه في نار جهنم ولم يجعل على ما قيل متصلا لانه يلزم عليه كونه صلى الله تعالى عليه وسلم مستوليا على من تولى وقد حصرت الولاية به تعالى وجوز اتصاله بأن يكون من ضمير عليهم فيكون من في محل جر تابعا له وتسلطه صلى الله تعالى عليه وسلم على المتولى باعتبار جهاده وقتله الذي وعد به عليه الصلاة والسلام ولا ينافي حصر الولاية به تعالى لانه بأمره عز وجل فكأنه قيل لست عليهم بمسيطر الا على من تولى وأقام على الكفر فانك متسلط عليه بما يؤذن لك من جهاده وقتله وسببه وأسرره وبعد ذلك يعذبه الله تعالى في جهنم فيكون في الآية ابعاد لهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وجوز أن يكون ابعادا بالجهاد فقط على أن المراد بالعذاب الاكبر القتل وسى السام والاولاد وسائر ما يترتب على الجهاد من البلايا فيكون فيه اشارة الى أن هذه الامة أكبر عذابهم في الدنيا ذلك لاما كان في الامم السابقة من الحسف والمسخ ونحوهما وأقيم فيعذبه الخ مقام فتسبون عليه

متسلطا ايذانا بأن ذلك من قبله عز وجل حتى كأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لادخل له فيه وقال عصا^١ الدين في كون الاستثناء منقطعا اشكال لان المستثنى المنقطع هو المذكور بمد لا غير مخرج عن متعدد قبله لعدم دخوله فيه مخالف له في الحكم وليس من تولى وكفر خارجا عن قوله تعالى عليهم وليس حكمهم مخالفا له ثم اجاب بان الاستثناء المنقطع قد يكون لدفع توهم ناشئ مما سبق من غير ان يخالف المستثنى منه في الحكم فالواجب ذكر حكمه له ليعلم انه ليس حكمه مخالفا لحكم المستثنى منه فكأنه ههنا لدفع توهم التعذيب فتأمل وجوز كون الاستثناء متصلا من قوله تعالى فذكر ومن موصولة لا غير والمراد بالمداب استحقاق العذاب أى فذكر الا من انقطع طمكك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وقوله انما أنت الخ على هذا اعتراض ورجح الانقطاع بان ابن عباس وزيد بن علي وقتادة وزيد بن أسلم قرؤا الأ حرف تنبيه واستفتاح وقوله تعالى (**إِنَّا إِلَيْنَا يَأْتُهُمْ**) تمليل لتعذيبه تعالى اياهم بالمداب الاكبر واياهم مصدر آب أى رجوع أى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى أحد سوانا لاستقلالها ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما أن افسرده فيما سبق باعتبار لفظها وقرأ أبو جعفر وشيبة اياهم بتشديد الياء قال البطليوسى في كتاب المثلثات هذه القراءة تحتل تأويلين أحدهما أن يكون اياهم بالتشديد فعلا من أوب على زنة فعل ككذب كذا با وأصله أواب فلم يمتد بالواو الاولى حاجزا لضمها بالسكون فابدل من الواو الثانية ياء لانكسار الهزمة فصار في التقدير أويابا ثم قلبت الاولى ياء أيضا لاجتماع ياء وواو وسكون احدهما ولان الواو الاولى اذا لم تمنع من انقلاب الثانية فهي أجدر بالانقلاب والثاني أن يكون فيعلا وأصله ايوابا فاعل اعلال سيد وفعله على هذا أيب على وزن فيعل كحوقل حيقلا من الاياب وأصله ايوب فاعل كما ذكرنا والوجه الاول اقيس لانهم قالوا في مصدره التاويب والتفعيل مصدر فعل لا فيعل ومع ذلك فقد قالوا هو سريع الاوية والاية فكانهم آثروا الياء لحقتها انتهى وقد ذكر هذين الوجهين الزمخشري الا انه في الاول منهما يجوز أن يكون أصله أوبا فعلا من أوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد وظاهره أن الواو الاولى هي التي قلبت أولي ياء واعترض بان المقرر أن الواو الاولى اذا كانت موضوعة على الادغام وجاء ما قبلها مكسورا لانقلب ياء لاجل الكسر كما في اخرواط مصدر اخروط وان ديوانا اذا كان مذكورا للقياس عليه لا للتظهير لا يصلح لذلك لنصهم على شذوذه وكان البطليوسى عدل الى ما عدل لذلك وفي الكشف لو جعل مصدر فاعل من الأوب فقد جاء فيه فيعمل حتى قال بعضهم ان فعلا مخفف عنه لكان أظهر لان فيعمل لا يثبت الا بذت والاول كالنقاس ومعنى المفاعلة حينئذ اما المبالغة واما مسابقة بعضهم بعضا في الأوب وأما جملة فعلا على ما قرر الزمخشري فابعد الى آخر كلامه وكونه من فاعل جوزه ابن عطية أيضا لكنه قال ويصح ان يكون من آوب فيجىء ايوابا سهلت همزته وكان اللازم في الادغام يردا اوابا لكن استحسنت فيه الياء على غير قياس فاعترضه أبو حيان بان قوله وكان اللازم الخ ليس بصحيح بل اللازم اذا اعتبر الادغام ان يكون ايابا لانه قد اجتمعت ياء وهي البدلة من الهزمة بالتسهيل وواو وهي عين الكلمة واحدها ساكنة فتقلب الواو ياء وتدغم فيها الياء فيصير ايابا فلا تنقل (**ثُمَّ إِنَّا عَلَّمْنَاهُمْ**) في المحشر لا على غير نونهم للتراخي الرتبى لا الزماني فان الترتيب الزماني بين اياهم وحسابهم لا بين كون اياهم اليه تعالى وحسابهم عليه سبحانه فانها أمران مستمران وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها والانيان بضمير العظمة وعطف الثانية على الاولى بثم المفيدة لبعده منزلة الحساب في الشدة من الانباه عن غاية السخط الموجب لشديد المذاب مالا يخفى وفي الآية رء على كثير من الشيعة حيث زعموا ان حساب الخلائق على الامير

كرم الله تعالى وجهه واستدلوا على ذلك بما افتروه عليه وعلى أهل بيته رضى الله تعالى عنهم أجمعين من الاخبار ومعنى قوله كرم الله تعالى وجهه أنا قسم الجنة والنار ان صح أن الناس من هذه الامة فريقان فريق مسمى فهم على هدى وفريق على فهم على ضلال فقسم معنى في الجنة وقسم في النار ولعلمهم عنوا أن عليا كرم الله تعالى وجهه يحاسب الخلائق بامرء عز وجل كما يقول غيرهم بان الملائكة عليهم السلام يحاسبونهم بامرء جل وعلا وهو معنى لا ينافي الحصر الذى تقتضيه الآية لكنه لم يثبت وأى خصوصية في الأدير كرم الله تعالى وجهه من بين جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين عليهم الصلاة والسلام أجمعين تقتضيه ولا نقص له كرم الله تعالى وجهه في نفي ذلك عنه ويكفيه رضى الله تعالى عنه من ظهور شرفه يوم القيامة انه يزف الى الجنة بين النبي و ابراهيم عليهما وعليه الصلاة والسلام كما جاء في الحديث الى غير ذلك مما يظهر في ذلك اليوم والله تعالى أعلم

سورة الفجر

مكية في قول الجمهور وقال علي بن أبي طلحة مدينة وآيا اثنتان وثلاثون آية في الحجازي وثلاثون في الكوفي والشامي وتسع وعشرون في البصري ولما ذكر سبحانه فيما قبلها وجوه يومئذ خاشعة ووجوه يومئذ ناعمة أتبعه تعالى بذكر الطوائف المكذبين من المتجبرين الذين وجوههم خاشعة وأشار جل شأنه الى الصنف الآخر الذين وجوههم ناعمة بقوله سبحانه فيها يأتبها النفس المطمئة وأيضا فيها مما يتعلق بامر الغاشية ما فيها وقال الجلال السيوطي لم يظهر لي في وجه ارتباطها سوى ان أولها كالأقسام على صحة ما حتم به السورة التي قبلها أو على ما تضمنته من الوعد والوعيد هذا مع ان جملة أم تركيف فعل ربك مشابهة لجملة أفلا ينظرون وهو كما ترى

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْفَجْرِ) أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم عز وجل بالصبح في قوله تعالى والصبح اذا تنفس فالمراد به الفجر المعروف كما روى عن علي كرم الله تعالى وجهه وابن عباس وابن الزبير وغيرهم رضى الله تعالى عنهم وقيل المراد عموده وضوؤه الممتد واصله شق الشيء شقا واسما وسمى الصبح فجرأ لكونه فاجرا لليل وهو كاذب لا يتعلق به حكم الصوم والصلاة وصادق به يتعلق حكمهما وقد تكلموا في سبب كل بما يطول وتقدم بمض منه ولعل المراد به هنا الصادق فهو أخرى بالقسم به والمراد عند كثير جنس الفجر لا فجر يوم مخصوص وعن ابن عباس ومجاهد فجر يوم النحر وعن عكرمة فجر يوم الجمعة وعن الضحاك فجر ذى الحجة وعن مقاتل فجر ليلة جمع وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب عن ابن عباس انه قال هو فجر المحرم فجر السنة وروى نحوه عن قتادة وعن الخبر أيضا انه النهار كله وأخرج ابن جرير عنه أيضا انه قال بمعنى صلاة الفجر وروى نحوه عن زيد بن أسلم فهو اما على تقدير مضاف او على اطلاقه على الصلاة مجازا وهو شائع وقيل المراد فجر العيون من الصخور وغيرها (وَالْيَالِ عَشْرِ) هن العشر الاول من الاضحى كما اخرجه الحاکم وصححه وجماعة على ابن عباس وروى عن ابن الزبير ومسروق ومجاهد و قتادة وعكرمة وغيرهم وأخرج ذلك أحمد والنسائي والحاکم وصححه والبخاري وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن جابر يرفعه ولها من الفضل ما لها وقد أخرج أحمد والبخاري عن ابن عباس مرفوعا مامن أيام فيهن العمل أحب الى الله عز وجل وأفضل من أيام العشر قبيل يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل جاهد في سبيل الله بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء. وأخرج ابن المنذر وابن أبي